من الواجهة النفسية في دراسة العسر وإتلاف الكتب عند المُحدِّثين

بين النظرية والتطبيق

سليمان سعيد العطروز عالية، أستاذ مساعد

الجامعة القاسمية بالشارقة–الإمارات

dr.alia1312@gmail.com

تاريخ الارسال: 2019/06/14 تاريخ القبول: 2017/07/01 تاريخ النشر : 2019/09/15

ملخص:

موضوع هذه الدراسة هو **من الواجهة النفسية في دراسة العسر وإتلاف الكتب عند المُحدِّثين**، بين النظرية والتطبيق. ولقد جاءت في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

فأما المبحث الأول فقد خصصته لدراسة ظاهرة العسر عند المحدثين، وجعلته في أربعة مطالب. وقد تناولت في هذه المطالب معنى العسر في الرواية لغة واصطلاحا، كما درست أسباب العسر في الرواية، وأثرها، وختمت هذا المبحث بنتائج تستبين بها هذه الظاهرة، وتوضح الأسباب الحقيقية لها.

كما خصصت المبحث الثاني لدراسة ظاهرة إتلاف الكتب عند المحدثين، وقد جعلته كذلك في أربعة مطالب، فبينت فيها الأسباب والدوافع التي دفعت العلماء لإتلاف كتبهم، ووضحت أساليبهم في ذلك. كما ذكرت معظم أسماء من اتلف كتبه بنفسه، أو من ترك وصية لإتلاف كتبه، وقد وضحت ذلك بجدول تضمن أسماءهم. ثم ختمت دراسة هذا المبحث بالحديث عن أثر هذه الظاهرة على رواية الحديث.

Abstract:

The subject of this study is the psychological interface in the study of hardship and destruction of books when modernists, Between theory and practice. It came in an introduction, two papers, and a conclusion

As for the first topic, it was devoted to study the phenomenon of hardship among the modernists, and made it in four demands. I have dealt with these demands the meaning of hardness in the novel language and terminology, as studied the causes of hardship in the novel, and its impact, and concluded this article with results to identify this phenomenon, and explain the real reasons.

The second topic was devoted to the study of the phenomenon of destruction of books by the modernists, and it also made it in four demands, stating the reasons and motives that prompted the scientists to destroy their books, and explained their methods in that. As I mentioned most of the names of those who damaged his books himself, or who left a will to destroy his books, and this has been explained by a table that includes their names. Then concluded the study of this subject to talk about the impact of this phenomenon on the novel.

مقدمة:

الحمد لله حمد الشاكرين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على خير خلقه المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغرّ الميامين. وبعد:

فلقد شملت العناية الربانية سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، فهيأ الله تعالى لها أئمة من خلقه اهتموا بها غاية الاهتمام، وسخروا لها جل أوقاتهم لدراستها والذب عنها؛ إيماناً منهم بأهمية السنة النبوية. فهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم.

ومن مظاهر تلك العناية اهتمام المحدثين بتتبع أحوال الرواة والوقوف على ما قد يعتري الواحد منهم من أحوال وإصابات، يعد وجودها مؤشراً على حدوث خلل يمنع من قبول رواية الراوي؛ لما تتركه من أثر في ضبطه، ليكونوا قادرين في النهاية على إصدار الأحكام الدقيقة على ما يأتيهم من سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام، تصحيحاً أو تضعيفاً. فتنوعت وتعددت تلك الأحوال والإصابات التي رصدها علماء الحديث ما بين إصابات جسدية، وحالات جاز تسميتها بالحالات النفسية؛ ليكون هذا التعدد دليلاً على دقة العلماء واحتياطهم في جانب الحديث النبوي الشريف.

وبعد اطلاعي على تلك الإصابات والحالات على إثر استقراء عام قمت به قدر المستطاع لمن أصيب بها، فقد اقتصرت في هذه الدراسة على تناول جزء من الحالات التي عُرفت عن بعض المحدثين، والتي يمكن لنا أن نسميها –تجاوزا– بالحالات النفسية؛ وقد رأيت أن ابرز هذه الحالات وأهمها والتي تجمعها أثر مشترك؛ هي: ظاهرتا العسر عند المحدثين، وإتلاف الكتب.

وعليه فقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة ومبحثين وخاتمة،وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول:العسر في الرواية:

- **المطلب الأول: معنى العسر في الرواية لغة واصطلاحا:**

يقال في اللغة:"(عسر) العين والسين والراء أصلٌ صحيحٌ واحد يدلُّ على صُعوبةٍ وشِدّة. فالعُسْر: نقيض اليُسْر. والإقلال أيْضاً عُسْرةٌ، لأنَّ الأمر ضيّق عليه شديد. قال الله تعالى: {وَإِنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} [البقرة 280]...". (**ابن فارس: :معجم مقاييس اللغة**، 1979م، 320/4).

فالعسر يدل على الصعوبة والشدة والتضييق، فعندما يقال رجل عسر؛ أي رجل يصعَّب الأمور قليل السماحة فيها. ورغم دلالة هذا الوصف بالعُسر فقد عرف به طائفة من المحدثين؛ لأنهم كانوا ممن يمتنعون عن التحديث إلا في حالات قليلة أو نادرة، أو بشروط تضيق بسببها مروياتهم ويصعب الانتفاع بسببها بعلم على كثير من طلبة الحديث.

- **العسر اصطلاحا:**

من خلال التعريف اللغوي لكلمة العسر، وبالاطلاع على بعض الشواهد التي ستذكر لاحقا فإنه يمكننا القول بأن العسر في الرواية إنما يقصد به تشدد المحدث في التحديث، أو امتناعه كليا عن الأداء،إلا في ظروف خاصة جدا، أو ضمن شروط معينة؛ كأن يحدد أحدهم لمن سيروي،أو عددا معينا من الأحاديث كي يرويها، مما يزيد في صعوبة قدرة طلبة الحديث على الاستفادة من أحاديث هذا المحدث،فتقل عنه المرويات، وقد لا تذكر أبدا، مع أن الأصل وجوب بذل الحديث للناس؛ لحاجتهم إليه، فضلا عما يحققه المحدث من وراء ذلك من أجر عظيم. (المعلمي: **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**، د. ت، 1/383-384).

- **المطلب الثاني: أسباب العسر في الرواية:**

رغم تنوع الأسباب التي دفعت بعض المحدثين إلى الامتناع عن التحديث إذا ما سئل ذلك، إلا أنه يبقى الدافع الأول وراءها جميعا هو الدافع النفسي، مع اختلاف أحواله، فقد يحمد أحيانا على ما ينتج عنه وقد لا يحمد حينا آخر، وفيما يلي بيان لتلك الأسباب:

أولا: مما لا شك فيه أن لكل محدث منهجاً يتبعه في التحديث، مما دفع ببعض المحدثين إلى أن يجعل من منهجه أن لا يحدث حتى يسأل، وإلا فلا يحدث؛ لاقتناع الواحد منهم بأهمية توافر النية لدى السامع؛ إذ إن مجرد سؤال السائل يدل على اهتمامه، ومن هؤلاء المحدثين:

1) إبراهيم النخعي:

قال الخطيب البغدادي:" أخبرني أبو القاسم الأزهري، أنا الحسين بن عمر الضراب، نا حامد بن محمد بن شعيب البلخي، نا سريج بن يونس، نا هشيم، عن مغيرة، قال: كان إبراهيم لا يحدث حتى يسأل". (الخطيب: **الجامع لأخلاق الرواة وآداب السامع**، 1996: 1/416).

2) عبد الله بن طاوس:

قال الخطيب:" أنا محمد بن الحسين القطان، أنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، نا يعقوب بن سفيان، نا سلمة، يعني ابن شبيب نا أحمد هو ابن حنبل، أنا عبد الرزاق، عن أمية بن شبل، قال: قدم علينا ابن طاوس، فجلس فقال له إنسان: ألا تحدثنا، فقال: إن سألتموني عن شيء ذكرته، وإلا فأهدر عليكم". (**الخطيب:الجامع لأخلاق الرواة**: 1/417).

3) قول الإمام مالك بن أنس:

قال الخطيب:"أنا أبو حازم عمر بن أحمد الحافظ، أنا محمد بن أحمد بن الغطريف العبدي، بجرجان، نا أبو العباس بن الصقر، نا أبو داود السجستاني، قال: سمعت العباس بن الوليد بن مزيد، يقول: سمعت أبا مسهر، يقول: سمعت مالك بن أنس، يقول: من إهانة العلم أن تحدث كل من سألك". (**الخطيب:الجامع لأخلاق الرواة**: 1/423).

4) وهب بن جرير:

قال الخطيب:" أنا الحسن بن أبي بكر أنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله القطان، نا أبو العباس محمد بن إسحاق الصفار، حدثني أبي قال: لقيني وهب بن جرير في طريق مكة فقلنا: حدثنا، فقال: سلوا ، فقلنا: ليس معنا، فقال: الحديث لا يبتدأ، ثم قال: نا شعبة، عن أبي حصين... ". (**الخطيب:الجامع لأخلاق الرواة**: 418/1).

إذن فعدم تحديث النخعي وغيره إلا إذا سئل هو منهج رواية،وإن كان من حيث الصورة يظهر فيه العسر،إلا أنه شيء لا يسبب الضرر، بل يعبر عن رغبة المحدث في التأكد من توافر النية لدى السامع في التعلم، وهو مما قد يحمد لصاحبه، فلا يشترط في الدافع النفسي للإنسان أن يدفعه دائما لما هو سيء بكل الحالات، بل قد يحسن بحال دون الآخر.

ثانيا: لقد دفع شعور بعض المحدثين بضرورة أن يكون لحديث النبي عليه الصلاة والسلام هيبته وتميزه عن غيره من العلوم إلى عدم التساهل في الرواية وعدم الإكثار، معتمدين على عدة أمور، منها الأقوال الآتية:

أ- قول شعبة:

ب- يقول الإمام الخطيب:" أخبرنا عبد العزيز بن علي، قال: سمعت عمر بن أحمد الواعظ، يقول: سمعت ابن أبي داود، يقول: سمعت محمد بن مصفى يقول: سمعت بقية بن الوليد، يقول: سمعت شعبة، يقول: تمنع أشهى لك". (**الخطيب:الجامع لأخلاق الرواة وآداب السامع**: 419/1).

ت- قول ابن مهدي:

وقال الخطيب:"أنا أبو حازم العبدوي، قال: سمعت أبا ذهل محمد بن محمد بن العباس العصمي يقول: سمعت خلف بن محمد، يقول: سمعت صالح بن محمد، يقول: نا محمد بن حاتم بن ميمون، قال: سمعت عبد الرحمن، يعني ابن مهدي، يقول: يغطي عيوب الشيخ ثلاثة أشياء: عسرته، وحفظه، وبعد منزله.وكان بعض السلف يتمنع من التحديث إذا كان السامع ليس من أهل العلم". (**الخطيب:الجامع لأخلاق الرواة وآداب السامع**: 420/1).

يظهر جليا أثر العامل النفسي فيما عرف به بعض الأئمة من العسر في الرواية؛ إذ إن رغبتهم في إضفاء الهيبة على العلم وزيادة الرغبة في مروياتهم كان دافعا قويا لهم؛ كي يتشددوا في الرواية، ولا ضرر في ذلك ما لم يؤثر سلبا على العلم،فلكل إنسان الحق في البحث عن التميز.

ثالثا: دفع بعض العلماء شعورهم بأنالتلميذ ليس بأهل للعلم، كأنيعرف عنه الكسل والفتور، أو عدم الحفظ،أو بأن يعرف برداءة الاستماع لمجالس العلم، دفعهم جميعا إلى الامتناع عن التحديث، ومثال ذلك:

أ- الأعمش:

يقول الإمام الخطيب:"كما أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن هارون بن الصلت ألأهوازي، أنا أبو عبد الله محمد بنمخلد العطار، نا عبد الله بن أيوب المخرمي، نا أبو سفيان ألحميدي، عن سفيان بن حسين، قال: قدم الأعمش بعض السواد فاجتمعوا إليه فأبى[1] أن يحدثهم، فقيل له: يا أبا محمد، لو حدثتهم، فقال:من يعلق الدرّ على الخنازير ". (الخطيب:**الجامع لأخلاق الرواة وآداب السامع**: 421/1). وعن الأعمش قوله أيضا: "انظروا أن لا تنثروا هذه الدنانير على الكنايس - يعني الحديث-". (الخطيب:**الجامع لأخلاق الرواة**: 336/2).

وقال أبو عمر القرطبي:"وأخبرنا عبد الوارث، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا محمد بن عبد السلام ألخشني، قال: حدثنا ألرياشي، عن الأصمعي، عن العلاء بن إسماعيل، عن رؤية بن العجاج، قال: أتيت النسابة البكري قال: قال لي: من أنت؟ قلت: رؤبة بن العجاج.قال: قصرت وعرفت، فما جاء بك؟ قلت: طلب العلم، قال: لعلك من قوم أنا بين أظهرهم إن سكت لم يسألوني، وإن تكلمت لم يعوا عني. قلت: أرجو ألا أكون منهم. ثم قال: أتدري ما آفة المروءة؟ قلت: لا.قال: فأخبرني. قال: جيران السوء إن رأوا حسنًا دفنوه، وإن رأوا سيئًا أذاعوه. ثم قال لي: يا رؤبة إن للعلم آفة وهجنة ونكرًا، فآفته نسيانه، وهجنته أن تضعه عند غير أهله، ونكره الكذب فيه". (**القرطبي:جامع بيان العلم وفضله**، 2003م: 216/1-217).

ب- فضيل بن عياض:

قال الخطيب:" أنا أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم الحافظ، قال: سمعت الإمام أبا بكر الإسماعيلي، يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن مسروق يقول: نا هارون بن سوار المقرئ، قال: سمعت الفضيل بن عياض وقيل له: ألا تحدثنا تؤجر قال: على أي شيء أؤجر؟ على شيء تتفكهون به في المجالس" (الخطيب:**الجامع**: 378/2). ولذلك كان وضع العلم عند أهله وعدم دفعه لمن لا يستحق دليلاً على تقدير الإنسان للعلم ومعرفته لحقه، وهو ما أشار إليه الإمام الخطيب بقوله: "من سلك في إعارة الكتاب طريق البخل وضن به عمن ليس له بأهل قال بعض الأدباء: البخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه ومعرفة بفضله. وكان بعض أهل العلم إذا أتاه رجل يستفيد منه علما، أو يستعير منه كتابا امتحنه، فإن وجده أهلا له أعاره وإلا منعه، وكان إذا أراد أن يعيره وعده ورده، فإن عاد إليه ولم يضجر أعاره، وإن لم يعد إليه كفي أمره وعلم أنها خطرة بقلبه خطرت، وشهوة كاذبة عرضت، وكان يقول: لا تعر كتاب علم من ليس من أهله واعتبارك ذلك بأن تستقريه الكتاب الذي طلبه، فإن قرأه قراءة صحيحة فهو من أهله، وإن لم يحسن قراءته فليس من أهله، فلا تعره، وكان

يقول: من حق العلم إعزازه، وقال غيره: لا تعر كتابا إلا بعد يقين بأن المستعير ذو علم ودين، وفي معنى ما ذكرناه من أن العلم تجب صيانته عن غير أهله". (الخطيب البغدادي:**تقييد العلم**، 1974م: 350).

وعن أبي عمر القرطبي قال:"قرأت على عبد الوارث بن سفيان، أن قاسم بن أصبغ، حدثهم، قال: حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني، قال: حدثنا أبو بكر الصاغاني، قال: حدثنا سليمان بن أيوب، عن يزيد بن زريع، عن الحجاج بن أرطأة، قال: قال عكرمة: إن لهذا العلم ثمنًا. قيل: وما ثمنه؟قال: أن تضعه عند من يحفظه ولا يضيعه" (القرطبي:**جامع بيان العلم**، 2003م: 216/1). إذن فلا يمكن بحال من الأحوال أن نعد عسر المحدث لعدم تحديثه من لايستحق أمرا سلبيا، بل هو مما يدل على شعوره بعظم ما بين يديه من العلم وعدم التساهل فيه.

رابعا: سار بعض المحدثين على نهج يتسم بعدم التوسع بالرواية للحديث النبوي الشريف، إذا طلب منه التحديث أمام جماعة معينة لا يرتضيها؛ كأن يطلب منهم التحديث لجماعة من الموالي مثلا،أو لمن أصلهم ليس بعربي؛ فيكون ذلك التصرف منهم من باب الغيرة على دين الله، والأخذ بالأحوط حتى لا يقع تبديل أو تغير في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام من قبل من يخش أنه لم تصفُ نيته، ومن الأمثلة على ذلك:

أ– سفيان الثوري:

قال الخطيب:"دفع إلي علي بن محمد بن عبد الله المقرئ الحذاء كتابه، فقرأت فيه: أنا أحمد بن جعفر بن سالم، نا أحمد بن محمد بن عبد الخالق، حدثني يعقوب بن يوسف أبو يوسف، قال: قال محمد بن عبد الوهاب السكري: كان سفيان إذا رأى هؤلاء النبط يكتبون الحديث تغير وجهه ويشتد عليه، قال فقلت له: يا أبا عبد الله نراك إذا رأيت هؤلاء يكتبون العلم يشتد عليك، قال: فيقول: كان العلم في العرب وسادة الناس، فإذا خرج من هؤلاء وصار في هؤلاء –يعني النبط والسفل– غيروا الدين، وكان غير واحد من المتقدمين يقتصر على رواية الشيء اليسير، ولا يتوسع في التحديث". (الخطيب:**الجامع**:425/1).

ب– أبو أسامة (حماد بن أسامة):

قال الخطيب:"أنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فضالة الحافظ النيسابوري، بالري، نا محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني، نا عبد الله بن أبي داود، نا محمد بن قدامه، قال: سمعت أبا أسامة، يقول: إني لأغار على الحديث كما يغار على الجارية الحسناء". (الخطيب): **الجامع**: 424/1).

وهذا الأمر من أهل العلم إنما يتعرض لقضية هامة، لا علاقة له بتوفر الجوانب المادية لطلب العلم عند طلابه، بل يبرز مسألة أخرى، وهي تأكد المحدث من سلامة نية طالب الحديث، وهو ما ينطلق من شعورهم بعظم ما يحملونه من دين الله.ولا ضرر في ذلك عموما ما لم يتجاوز المحدث فيه الحد السليم ليصل لدرجة الشك بكل من يجلس إليه.قال الخطيب: "أنا محمد بن أحمد بن رزق، نا عمر بن جعفر بن سالم، أنا أحمد بن علي ألمخرمي أنا محمد بن رافع النيسابوري، أنا زيد بن الحباب، قال: سمعت سفيان، يعني الثوري، يقول: لو علمت أن أحدا يطلبه بنية – يعني الحديث – لاتبعته حتى أحدثه في بيته"، (الخطيب:**الجامع**: 380/2). وهذا اجتهاد من بعض

أهل العلم لهم عليه الأجر عند الله تعالى، رغم أنه قد ورد قول آخر عن الثوري، يقول فيه: "... طلبهم الحديث نية، كما وقد ورد عن حبيب بن أبي ثابت، ومعمر بن راشد قولهم: طلبنا الحديث وما لنا فيه نية، ثم رزق الله النية بعد". (الخطيب: **الجامع**: 380/2).

خامسا: لم يتوسع بعض المحدثين بالتحديث، ليكتفي الواحد منهم برواية عددقليلجدا من الأحاديث؛ لاجتهادات مختلفة وهي:

1- ربما يكون إيمانهم أن هذا العلم دين لا بد أن يقترن بالعمل، مؤكدين على ذلك بما نقل عن بعض الأئمة من أقوال؛ ومنها ماذكر عن سفيان الثوري قوله:"كان يقال أول العلم الصمت، والثاني الاستماع له وحفظه، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه".(الأصفهاني: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**1405هـ: 362/6).

2- لقد دفع بعض العلماء لذلك ورعهم من أن يكثر على لسانهم الرواية، لأخذهم بعين الاعتبار لقضية احتمال وقوع الخطأ في الرواية، فكان اعتقادهم أنه كلما قلت الروايات قلت احتمالية الخطأ منهم، أو أن خوفهم من دخول العجب لنفوسهم هو الذي دفعهم لذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

ج- أبو قلابة عبد الله الجرمي:

يقول الإمام الخطيب:"... عن خالد الحذاء ، قال: كان أبو قلابة إذا حدثنا بثلاثة أحاديث قال: قد أكثرت". (الخطيب:**الجامع لأخلاق الرواة**: 427/1).

د- أبو بكر بن عياش:

وقال الخطيب:"عن أبي بكر بن عياش، قال: كان الأعمش إذا حدث بثلاثة أحاديث قال: قد جاءكم السيل قال أبو بكر: وأنا مثل الأعمش". (الخطيب:**الجامع**: 428/1).

هـ- الجعد بن درهم:

وفي رواية عن الجعد يقول الخطيب:"أخبرني أبو الوليد الحسن بن محمد البلخي، أنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الحافظ، ببخارى، نا خلف بن محمد، قال: سمعت صالح بن محمد وهو المعروف بجزرة يقول: اختلفت [1] إلى الجعد أربع سنين، وكان لا يقرأ إلا ثلاثة أحاديث كل يوم، أو كما قال". (الخطيب:**الجامع لأخلاق الرواة**: 432/1).

و- هشام بن عبد الملك الباهلي(أبو الوليد):

وقال:" وحدثني علي بن أحمد المؤدب، نا أحمد بن إسحاق النهاوندي، نا الحسن بن عبد الرحمن، قال: سمعت الحسن بن المثنى، يقول: كان أبو الوليد يحدثنا بثلاثة أحاديث إذا صرنا إليه، لا يزيدنا على ثلاثة " (الخطيب:**الجامع**: 433/1).

ز- عمرو بن دينار:

قال الخطيب:" - أنا أبو نعيم الحافظ، نا أبو الحسين عيسى بن حامد بن بشر بن عيسى الرخجي ببغداد، نا جدي، نا محمد بن حسان، نا سعيد بن حرب، قال: سمعت شعبة، يقول: اختلفت [1] إلى عمرو بن دينار خمسمائة مرة، وما سمعت منه إلا مائة حديث، في كل خمسة مجالس حديث. (الخطيب:**الجامع**: 434/1).

ح- كلثوم بن هانئ، وأبو زرعة الشيباني:

"وقال كلثوم بن هاني، وقد قيل له: يا أبا سهل حدثنا إن قلبي لا خير فيه ما أكثر ما سمع ونسي هذا، وهو لو شاء فعل كما قاله أبو زرعة الشيباني، ولكنه أشفق من الزهو والعجب حين نصبوه".(**السخاوي**[25]، 2001م: 311/2).

ط- أبو الأحوص:

" وقال أبو الأحوص سلام ابن سليم لمن سأله أيضا: ليست لي نية، فقيل له إنك توجر فقال شعر نمير في الخير الكثير، حين قال: (السخاوي: **فتح المغيث**، 2001م: 311/2).

يمنونني الخير الكثير وليتني نجوتُ كفافاً لا علي ولاليا"

ي- حماد بن زيد:

"...ونحوه قول حماد بن زيد: استغفر الله أن لذكر الإسناد في القلب خيلا". (السخاوي:**فتح المغيث**2001م: 311/2).

ك- مسعر بن كدام، ومالك بن مغول:

يقول الرامهرمزي:"حدثني مهذب بن محمد الموصلي، ثنا إسحاق بن سيار النصيبي، ثنا قبيصة قال: سألت مالك بن مغول عن حديث، فقال:إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. قال وأما مسعر بن كدام فكان لأن يقلع ضرسه أو كما قال أحب إليه من أن يحدث بحديث، قال: وما رأيت عنده عشرة قط كانوا ستة سبعة .

ل- الخريبي عبد الله بن داود:

قال الذهبي:"قَالَ أَبُو نَصْرٍ بنُ مَاكُوْلاَ: كَانَ الخُرَيْبِيُّ عَسِراً فِي الرِّوَايَةِ.قُلْتُ: لَقِيَهُ البُخَارِيُّ، وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ، وَاحْتَاجَ إِلَيْهِ فِي (الصَّحِيْحِ)، فَرَوَى عَنْ مُسَدَّدٍ، عَنْهُ، وَعَنِ الفَلاَّسِ، عَنْهُ، وَعَنْ نَصْرِ بنِ عَلِيٍّ، عَنْهُ، وَتَرَكَ التَّحْدِيْثَ تَدَيُّناً؛ إِذْ رَأَى طَلَبَهُم لَهُ بِنِيَّةٍ مَدْخُوْلَةٍ". (الذهبي: **سير أعلام النبلاء**: 363/17).

- **المطلب الرابع: أثر العسر في الرواية:**

رغم نبل النوايا غالبا لدى من عرف من المحدثين بالعسر، والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على معرفتهم لعظم ما يحملون من دين الله تعالى، إلاأن مسألة العسر قد تركت أثرا في صفة من عرف بها، فكان من أهم تلك الآثار ما يلي:

1. أن تكثر رواية الغرائب عن ذلك الراوي: وذلك لأن كثير من الطلاب – ولا سيما الغرباء الذين تضطرهم الأحوال أحياناً إلى تقصير زمان الرحلة، أو الاقتصار على الكتابة عن بعض محدثي البلدة، دون غيرهم، أو سماع بعض الأحاديث دون غيرها – كان من منهجهم مع من عرف عنه العسر الانتقاء لغريب حديثهم، إيثاراً لها على ما سواها، وتقديماً لها على غيرها، وهم بذلك يكون الواحد منهم متبعا لما أشار له الإمام الخطيب بإسناده: "... عن سليمان بن موسى، قال: يجالس العلماء ثلاثة: رجل يسمع ولا يكتب ولا يحفظ فذاك لا شيء، ورجل يكتب كل شيء سمعه فذلك الحاطب، ورجل يسمع العلم فيتخيره ويكتب؛ فذاك العالمإذا كان المحدث مكثرا وفي الرواية متعسرا فينبغي للطالب أن ينتقي حديثه وينتخبه، فيكتب عنه ما لا يجده عند غيره، ويتجنب المعاد من رواياته، وهذا حكم الواردين من الغرباء الذين لا يمكنهم طول الإقامة والثواء. وأما من لم يتميز للطالب معاد حديثه من غيره، وما يشارك في روايته مما يتفرد به، فالأولى أن يكتب حديثه على الاستيعاب دون الانتقاء والانتخاب". (الخطيب:**الجامع**: 196/4).

ومما يمثل ذلك ما ذكره الإمام الذهبي في ترجمة عبد السلام بن حرب حيث قال عنه: (قال يعقوب بن شيبة: ثقة وفي حديثه لين، وكان عسرا في الحديث.سمعت ابن المديني يقول: كان يجلس في كل عام مرة مجلسا للعامة، فقيل لعلي: أكثرت عنه؟ قال: نعم حضرت له مجلس العامة، وقد كنت أستنكر بعض حديثه حتى نظرت في حديث من يكثر عنه، فإذا حديثه مقارب عن مغيرة والناس، وذلك أنه كان عسرا، فكانوا يجمعون غرائبه في مكان، فكنت أنظر إليها مجموعة، فاستنكرتها.وقال يحيى بن معين: ثقة". (الذهبي: **سير أعلام النبلاء**: 336/8).

وهذا تنبيه عظيم جليل من إمام علم العلل – بحق – علي بن المديني رحمه الله ، وهو يقتضي التثبت في الحكم على من كان عسراً، ولا سيما إذا كان مع عسره مكثر من الحديث، فالإكثار مظنة الإغراب أحياناً؛ لذلك قد يتغاضى أهل العلم عن غرائب المكثر، بعكس من كثرت عنه الغرائب مع قلة مروياته، ولذا فينبغي التأني في نقد من وصف بالعسر في الرواية.

2. قال الإمام الخطيب:" أنا أحمد بن أبي جعفر القطيعي، أنا علي بن عبد العزيز البرذعي، نا عبد الرحمن بن أبي حاتم، نا الربيع بن سليمان، قال: قال الشافعي: قيل لسفيان بن عيينة: إن قوما يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم، يوشك أن يذهبوا ويتركوك، قال: هم حمقى إذن مثلك أن يتركوا ما ينفعهم لسوء خلقي ". (الخطيب: **الجامع**: 481/1). وقال أيضا:" أنا أبو الفضل عمر بن أبي سعد الهروي، نا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي بجرجان، نا أبو عوانة، يعني الإسفراييني– قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى، يقول: سمعت الشافعي يقول: كان يختلف إلى الأعمش رجلان، أحدهما كان الحديث من شأنه، والآخر لم يكن الحديث من شأنه، فغضب الأعمش يوما على الذي من شأنه الحديث، فقال الآخر: لو غضب علي كما غضب عليك لم أعد إليه، فقال الأعمش: إذن هو أحمق مثلك، يترك ما ينفعه لسوء خلقي".(الخطيب: **الجامع**: 480/1).

إذن فقد دفع عسر بعض المحدثين بعض من يطلب العلم إلى ترك ما عند أولئك المحدثين من علم؛ لأنهم لم يحتملوا تلك الشدة في المعاملة، فمثل هذا يظهر أن تشدد بعض المحدثين بالرواية كان له جانب سيئ.

- **المطلب الخامس: النتائج:**

1- يعرف العسر بأنه: تشدد المحدث في التحديث، أو امتناعه كليا عن الأداء ،إلا في ظروف خاصة جدا، أو ضمن شروط معينة؛ كأن يحدد أحدهم لمن سيروي،أو عددا معينا من الأحاديث كي يرويها،مما يزيد في صعوبة قدرة طلبة الحديث على الاستفادة من أحاديث هذا المحدث،فتقل عنه المرويات، وقد لا تذكر أبدا، مع أن الأصل وجوب بذل الحديث للناس، لحاجتهم إليه، فضلا عما يحققه المحدث من وراء ذلك من أجر عظيم.

2- رغم تنوع دوافع بعض المحدثين للتشدد في قضية الرواية، إلا أنه يبقى الدافع الأقوى وراءها جميعا هو الدافع النفسي، الذي نتجت عنه عدة اجتهادات من قبل بعض أهل الحديث، أثرت في روايتهم لحديث النبي عليه الصلاة والسلام، والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على سلامة نواياهم. ومن هذه الدوافع:

أولا: مما لا شك فيه أن لكل محدث منهجا يتبعه في التحديث، مما دفع ببعض المحدثين إلى أن يجعل من منهجه أن لا يحدث حتى يسأل، وإلا فلا يحدث؛ لاقتناع الواحد منهم بأهمية توافر النية لدى السامع، إذ إن مجرد سؤال السائل يدل على اهتمامه.

ثانيا: إن شعور بعض المحدثين بضرورة أن يكون لحديث النبي عليه الصلاة والسلام هيبته وتميزه عن غيره من العلوم قد دفعهم إلى عدم التساهل في الرواية وعدم الإكثار.

ثالثا: كان بعض العلماء يمتنع عن التحديث إذا شعر أن التلميذ ليس بأهل للعلم، وذلك كأنيعرف عنه الكسل والفتور، أو عدم الحفظ،أو بأن يعرف عنه رداءة الاستماع لمجالس العلم.

رابعا: سار بعض المحدثين على نهج يتسم بعدم التوسع بالرواية للحديث النبوي الشريف، إذا طلب منه التحديث أمام جماعة معينة لا يرتضيها؛ كأن يطلب منهم التحديث لجماعة من الموالي مثلا ،أو لمن أصلهم ليس بعربي؛ فيكون ذلك التصرف منهم من باب الغيرة على دين الله والأخذ بالأحوط، حتى لا يقع تبديل أو تغير في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام من قبل من يخش أنه لم تصفُ نيته.

خامسا: لم يتوسع بعض المحدثين بالتحديث، بل اكتفى الواحد منهم برواية عددقليلجدا من الأحاديث، لاجتهادات مختلفة، وهي:

أ- ربما يكون إيمانهم أن هذا العلم دين لا بد أن يقترن بالعمل، مؤكدين على ذلك بما نقل عن بعض الأئمة من أقوال؛ ومنها ماذكر عن سفيان الثوري قوله:" كان يقال أول العلم الصمت، والثاني الاستماع له وحفظه، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه".(الأصفهاني:**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: 362/6).

ب- دفع بعض العلماء لذلك ورعهم من أن يكثر على لسانهم الرواية، لأخذهم بعين الاعتبار لقضية احتمال وقوع الخطأ في الرواية، فكان اعتقادهم أنه كلما قلت الروايات قلت احتمالية الخطأ منهم، أو أن خوفهم من دخول العجب لنفوسهم هو الذي دفعهم لذلك

3- من الآثار التي تركتها قضية التشدد في الرواية ما يلي:

-أن تكثر الغرائب على لسان المحدث الموصوف بالتشدد.

-أن ينفض طلاب العلم عمن عرف بالتشدد، وبالتالي يضيع عليهم الاستفادة من علمه، وهذا من أبرز الآثار السلبية لقضية التشدد في الرواية.

المبحث الثاني: إتلاف الكتب

تحلى بعض العلماء بطباع غريبة دفعت بهم لكي يوصي الواحد منهم بدفن كتبه أو إحراقها بعد موته ، وبعضهمدفنها بنفسه، فكان عليه أن يحدّث بالأحاديث التي كانت في الكتب من حفظِهِ، فمما لا شك فيه أن مثل هذا التصرف لن يكون من غير دافع أو مبرر يوضح سبب حدوث مثل هذه الظاهرة، و بروزها بين بعض العلماء، و لا سيما علماء الحديث النبوي، وللتعرف على حقيقة هذه الظاهرة فقد قسمت هذا البحث على النحو الآتي:

- المطلب الأول: الأسباب والدوافع لإتلاف العلماء لكتبهم، وأساليبهم في ذلك:
  - أولا:الأسباب والدوافع لإتلاف العلماء لكتبهم:.
  - أ-الأسباب العلمية:
  - ب-الأسباب الدينية:
  - ثانيا:أساليب العلماء في إتلاف كتبهم:
- المطلب الثاني: قائمة بأسماء بعض العلماءممن أتلف كتبه:
- المطلب الثالث: نماذج من الرواة الذين أتلفوا كتبهم..
  - 1) بشر الحافي:
  - ثانيا: يوسف بن أسباط:
  - ثالثا: مطلب بن زياد:
  - المطلب الرابع: أثر إتلاف الكتب في الرواية:
- الخاتمة:

- **المطلب الأول: الأسباب والدوافع لإتلاف العلماء لكتبهم، وأساليبهم في ذلك.**

أولا: الأسباب والدوافع لإتلاف العلماء لكتبهم:

لقد تنوعت الأسباب التي دفعت ببعض العلماء لإتلاف كتبهم،ما بين أسباب علمية ودينية

أ–الأسباب العلمية:

1) قال الخطيبالبغدادي: "وكان غير واحد من المتقدمين إذا حضرته الوفاةأتلف كتبه، أو أوصى بإتلافها، خوفًا من أن تصير إلى من ليس من أهل العلم، فلايعرف أحكامها، ويحمل جميع ما فيها على ظاهره، وربما زاد فيها ونقص، فيكون ذلكمنسوبًا إلى كاتبها في الأصل، وهذا كلُّه وما أشبهه قد نقل عن المتقدمين الاحتراسمنه". (الخطيب:**تقييد العلم**، ص: 105).

إذاً فأول الدوافع تتمثل في شعور العلماء بالخوف من أن تقع مؤلفاتهم بأيدي ممن لا يقدر العلم ولا يعرفه، فيحرف فيها دون بيان اسمه، فينسب التحريف إلى صاحب الكتاب الأصلي،ورغم ما في هذا الاجتهاد من حسن نية لدى فاعله، إلا أنه لا يسلم من أن ينقد؛ إذ إن مثل هذا التصرف فيه إضاعة للكثير من العلوم، والناس أحوج إليها، لا سيما إذا كانت تخص أحد كبار العلماء، وهذا أبرز نقد قد يوجه إلى فعل من أتلف كتبه من العلماء؛ إذ الأصل بمن علم أن يبلغ علمه لا أن يتلفه، ما لم يكن فيما أتلفه رأي ينافي الشرع .

2) رغبة العالم بالتراجع عن آراء سابقة، والتخلص من المؤلفات التي ضمت تلك الآراء،ويقاس عليها رغبة بعض العلماء بالتخلص من مسودات بعض مؤلفاتهم،بعد أن أعاد تسويدها. قال الإمام الذهبي:"وَعَنِ الأَصْمَعِيِّ: أَنَّ الثَّوْرِيَّ أَوْصَى أَنْ تُدْفَنَ كُتُبُهُ، وَكَانَ نَدِمَ عَلَى أَشْيَاءَ كَتَبَهَا عَنْ قَوْمٍ". (الذهبي:**سير أعلام النبلاء**: 300/13).

ومما ذكر عن الثوري أيضا أنه" مزق ألف جزء وطيرها في الريح وقال: ليت يدي قطعت من ها هنا ولم أكتب حرفاً". (الحموي:**معجم الأدباء**، 1980م، 146/2). مثل هذا التصرف من العلماء –كما أشارت الباحثة سابقا– لا يمكن لأحد ذمه، إذ إن الغاية من إتلاف العالم لكتبه هنا هو التخلص من آراء خاطئة، أو غير مسودة قام بمراجعتها، خوفا منه من أن تصل الناس وتنتشر بينهم، وهو شيء يحمد لفاعله، وله أجره على اجتهاده.

3) رغبة الواحد منهم بأن يتكل على حفظه وليس على كتاب،لا سيما مع اشتهار النهي لكتابة الآراء، وأبرزها ما يسنده طاووس بن كيسان إلى ابن عباس –رضي الله عنه بقوله–: "إن كان الرجل يكتب إلى ابن عباس يسأله عن الأمر فيقول للرجل الذي جاء: أخبر صاحبك أن الأمر كذا وكذا، فإنا لا نكتب في الصحف إلا الرسائل والقرآن". (الخطيب:**تقييد العلم**، ص:51).

ومن الأمثلة على ذلك: قال ابن أبي حاتم: "عطاء بن مسلم الخفاف كوفي الأصلحلبي الدار...القراديسى...سمعت أبي يقول ذلك، وسألته عنه، فقال كان شيخا صالحا، يشبه بيوسف بن أسباط، وكان دفن كتبه وليس بقوى فلا يثبت حديثه...".(ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل**، 1952م، 336/6).

وقال ابن سعد عن محمد العرزمي:" كان قد سمع سماعًا كثيرًا، وكتب، ودفن كتبه، فلما كان بعد ذلك حدَّث وقد ذهبت كتبُهُ، فضعَّف الناسُ حديثَهُ لهذا المعنى".(ابن سعد:**الطبقات الكبرى**، 1968م، 368/6).

إذن لقد دفع بعض المحدثين خوفهم من أن يتكلوا على كتبهم دون حفظهم إلى أن يتلف الواحد منهم كتبه بعد أن ظن نفسه قد حفظ، وهو اجتهاد لصاحبه أجره عند الله تعالى، إلا أن مثل هذا التصرف –كما أظهرت النصوص السابقة– قد أثر تأثيرا سلبيا على فاعله؛ غالبا بفقدانه لحفظه، ووقوعه بالوهم في الرواية.

4) رغبة المحدث بالتخلص من سماعه عن أحد الضعفاء أو الموصوفين بالاختلاط؛ إذ إنه سمع منه بعد اختلاطه،وقد يكون ذلك لوجود علة أخرى كونه أخذ عمن يوصف بالغلو مثلا بالتشيع.

ومثال ذلك:" حدثنا عبد الله بن أحمد قال: سألت أبي قلت: عبد الرزاق كان يتشيع ويفرط في التشيع؟ قال: فأما أنا فلم أسمع منه في هذا شيئا، ولكن كان رجلا يعجبه أخبار الناس والأخبار. حدثنا محمد بن أحمد قال: سمعت أبا صالح محمد بن إسماعيل الضراري يقول: بلغنا ونحن بصنعاء عند عبد الرزاق أن أصحابنا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهما تركوا حديث عبد الرزاق وكرهوه، فدخلنا من ذلك غم شديد، وقلنا: قد أنفقنا ورحلنا وتعبنا، فلم أزل في غم من ذلك إلى وقت الحج، فخرجت إلى مكة، فلقيت بها يحيى بن معين، فقلت له: يا أبا زكريا، ما نزل بنا من شيء بلغنا عنكم في عبد الرزاق؟ قال: ما هو؟ قلت: بلغنا أنكم تركتم حديثه ورغبتم عنه، قال لي: يا أبا صالح، لو ارتد عبد الرزاق عن الإسلام ما تركنا حديثه"(العقيلي: **الضعفاء الكبير**، د. ت، 351/5).

ب–الأسباب الدينية:

1. لقد دفع خوف بعض العلماء من أن يكون في مؤلفاتهم شيء يحاسبون عليه عند الله تعالى إلىالتخلص من كتبهم، ومن هؤلاء:يوسف بن أسباط، قيل أنه:" حمل كتبه إلى غار في جبل، وطرحه فيه وسد بابه، فلما عوتب على ذلك، قال: دلنا العلم في الأول، ثم كاد يضلنا في الثاني، فهجرناه لوجه من وصلناه، وكرهناه من أجل ما أردناه.وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار، ثم قال: والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك".(الحموي:**معجم الأدباء**، 146/2).

يظهر من خلال ما سبق أن هؤلاء العلماء رأوا قوله تعالى:(وَالنَّجْمِ إِذا هَوى(1) ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى (2) وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى (3)إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى(4).(سورة النجم:الآية (1)–الآية (4)).ونظروا في قوله تعالى:(وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا(1). (سورة الحشر:الآية(7)).

فقد شعروا بعظم ما حملوا من العلم، وأن هذا الأمر الذي هم بحامليه هو دين الله تعالى،فيجب أن لا يعبث فيه، وأن يؤدى بحقه، وإلا وقعوا فيما وقعت به اليهود، بدليل قوله تعالى:(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5)).(سورة الجمعة:الآية: (5)).

فزاد خوفهم من الرواية للحديث، لا سيما مع إيمانهم بوجوب عمل الإنسان بما علم، وذلك ما صرح به بشر بن الحارث بدليل:"قَال أبو عَمْرو عثمان بن أحمد الدقاق المعروف بابن. السماك، عن الحسن بن عَمْرو الشيعي المروزي: سمعت بشرا – وجاءوا إليه أصحاب الحديث يوما – وأنا حاضر، فقال لهم بشر: ما هذا الذي أرى

معكم قد أظهرتموه؟ قالوا: يا أبا نصر، نطلب هذه العلوم، لعل الله ينفع بها يوما، قال: علمتم أنه تجب عليكم فيها زكاة، كما تجب على أحدكم إذا ملك مئتي درهم، خمسة دراهم ؟ فكذلك يجب على أحدكم إذا سمع مئتي حديث، أن يعمل منها بخمسة أحاديث، وإلا فانظروا أيش يكون عليكم هذا غدا". (الخطيب: **تقييد العلم**، ص: 114).

إذن دفع بعض العلماء شعورهم بالخوف من أن يحاسب على شيء مما كتب إلى إتلاف كتبهم، ومن الأقوال التي يستأنس بها هنا قول الرياشي: (ابن قتيبة:**تأويل مختلف الحديث**، 1972م، ص:59).

ولا تكتب بخطك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

ورغم نبل الغاية، إلا أن هذا التصرف كان فيه إضاعة للكثير من العلم، فالناس أحوج إليه.

2.رغبة العالم بالتخلص من الكتاب تعديلا منه لنية تأليفه، وذلك هو ما حصل تماما مع الإمام الشنقيطي، -كما سيذكر لاحقا- عندما دفنمنظومة له في الأنساب،لأنه كتبه مجاراة لأصحابه، ولم تكن النية خالصة لوجه الله تعالى.

إن مثل هذا التصرف يدل على أن فاعله ممن يحاسب نفسه ويراقبها، إذ لولا أنه ممن يخاف الله تعالى لما تراجع عن كتاب لمجرد رغبته بتصحيح نيته، ورغم ما في هذا الأمر من إتلاف للعلم، إلا أنه اجتهاد يبقى لفاعله أجره عند الله تعالى.

ومثل هذه الأسباب أدى إلى بروز ظاهرة إتلاف العلماء لكتبهم، ورغم أنهم كانت لهم مبرراتهم لفعل ما فعلوا ألا والتي في أغلبها إن دلت على شيء فتدل على سلامة نفوسهم ونوايا، إلا أنه كان من باب الأولى منهم أن لا يفعلوا ذلك لحاجة الناس إلى ما في كتبهم من خير.

ثانيا:من خلال تتبع النصوص السابقة وغيرها تم التوصل إلى أن أساليب العلماء في إتلاف كتبهم هي:

أولاً: إتلاف الكتب بالحرق.

ثانياً: إتلاف الكتب بالدفن.

ثالثاً: إتلاف الكتب بالغسل بالماء والإغراق.

رابعاً: إتلاف الكتب بالتقطيع والتخريق.

وبعد التعرف على الأسباب التي دفعت الكثير من العلماء لإتلاف كتبهم، مع بيان أساليبهم في ذلك كان لزاما بعد ذلك أن نذكر قدر المستطاع أسماء من عرف عنه من العلماء أنه أتلف كتبه، وهو ما سنذكره في ملحقات الفصل.

المطلب الثاني: قائمة بأسماء بعض العلماء ممن أتلف كتبه، إما بنفسه أو بتوصية أحدهم:(الخطيب **تقييد العلم**، وآخرون).

1	أبوعمرو بن العلاء المازري.	12	شعبة بن الحجاج
2	عبد الله بن المبارك.	13	أبوقلابة
3	محمد بن عبيد الله العرزمي	14	الحسن البصري.
4	عطاء بن الخفاف	15	محمد الأمين بن محمد الشنقيطي
5	سلم بن ميمون الخواص	16	محمد بن عمر بن محمد (ابن الجعابي)
6	يوسف بن أسباط.	17	مطلب بن زياد
7	الحسن بن رودبار	18	عبيدة السلماني
8	سفيان الثوري	19	زيد بن المبارك
9	مؤمل بن إسماعيل	20	أحمد بن أبي الحواري.
10	محمد بن يوسف بن معدان	21	علي بن مسهر

المطلب الثالث:نماذج من الرواة الذين أتلفوا كتبهم.

1) **بشر الحافي:**

- **الترجمة:** (ابن حبان:**الثقات**، 1973م، وآخرون).

بشر بن الحارث * ابن عبدالرحمن بن عطاء، الإمام العالم المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي، ابن عم المحدث علي بن خشرم.وأخباره وشمائله في التقشف، وخفي الورع أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها، روى أحرفا يسيرة عن مولاه وأضرابهم، وكان ثوري المذهب في الفقه والورع جميعا. ولد سنة اثنتين وخمسين ومئة.ارتحل في العلم، فأخذ عن مالك، وشريك، وحماد بن زيد، وغيرهم.

كان يزم نفسه، فقد كان رأسا في الورع والإخلاص، ثم إنه دفن كتبه. وروي عن بشر أنه قيل له: ألا تحدث ؟ قال: أنا أشتهي أن أحدث، وإذا اشتهيت شيئا، تركته. وقال إسحاق الحربي: سمعت بشر بن الحارث يقول: ليس الحديث من عدة الموت.فقلت له: قد خرجت إلى أبي نعيم.فقال: أتوب إلى الله.

وقيل لأحمد: مات بشر. قال: مات والله وماله نظير، إلا عامر بن عبد قيس، فإن عامرا مات ولم يترك شيئا.ثم قال أحمد: لو تزوج.

وسئل الدار قطني عنه، فقال: زاهد جبل ثقة، ليس يروي إلا حديثا صحيحا. وقال إبراهيم الحربي: لو قسم عقل بشر على أهل بغداد، صاروا عقلاء. قال محمد بن المثنى، عن بشر: ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، ومن زهد فيها، أحب لقاء مولاه. وعنه: ما اتقى الله من أحب الشهرة. وعنه قال: لا تعمل لتذكر، اكتم الحسنة كما تكتم السيئة.

وقال ابن سعد: كان من أبناء خراسان طلب الحديث، وسمع سماعا كثيرا ثم أقبل على العبادة واعتزل الناس فلم يحدث، ومات ببغداد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة (227)، وهو ابن ست وسبعين سنة. وقال المروزي: قيل لأبيعبدا لله مات بشر ابن الحارث، قال: مات رحمه الله وماله نظير في هذه الأمة إلا عامر بن عبد قيس، وقال إبراهيمالحربي: ما أخرجت بغداد أتم عقلا ولا أحفظ للسانه من بشر بن الحارث. وقال الخطيب: كان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، وتفرد بوفور العقل وأنواع الفضل وحسن الطريقة واستقامة المذهب وعزوف النفس وإسقاط الفضول، وكان كثير الحديث إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية، وكان يكرهها، ودفن كتبه لأجل ذلك، وكلما سمع منه فإنما هو على طريق المذاكرة.وقال أبو حاتم الرازي ثقة رضي.

- **ثانيا: يوسف بن أسباط:**

الترجمة: (البخاري:**التاريخ الكبير**، 1986م، وآخرون).

يوسف بن أسباط كوفي ثقة صاحب سنة وخير. قال أبو حاتم: كان رجلاً عابداً، دفن كتبه، وهو يغلط كثيرا، وهو رجل صالح، لا يحتج بحديثه. قال البخاري: دفن كتبه، فكان حديثه لا يجيء كما ينبغي.تحول بعد دفنه لكتبه إلى قرية يقال لها سيلحين بين أنطاكية وحلب وآواه أبو أسامة إلى قريته وهو في سن وكيع. ابن أسباط دفنه لكتبه بقوله: لا يصلح قلبي عليه. قال عثمان بن سعيد قال قلت ليحيى بن معين يوسف بن أسباط تعرفه؟ فقال: ثقة مات يوسف بن أسباط سنة خمس وتسعين ومائة.

ثالثا: مطلب بن زياد:

- الترجمة: (البخاري:**التاريخ الكبير**، 1986م، وآخرون).

مطلب بن زياد الكوفي الثقفي مولى لهم ويقال مولى لجابرابن سمرة وكان جابر حليفا لبنى زهرة فلذلك قيل المطلب بن زياد القرشي.

قال عبد الله بن احمد بن حنبل فيما كتب قال أبي: المطلب بن زياد ثقة. وقال العجلي: ثقة وهو فوق وكيع فيالسن صاحب سنة وخير دفن كتبه تحول من الكوفة إلى قرية تقال سحلبون بين أنطاكية وحلب فآواه أبو أسامة إلى قريته دفن كتبه وقال لا يصلح قلبي عليها.

قال ابن عدي: وللمطلب أحاديث حسان وغرائب ولم أر له حديثًا منكرا فأذكره وأرجو أنه لا بأس به. وقال أبو بكر بن أبي خيثمة :سمعت يحي بن معين يقول: المطلب بن زياد ثقة. قال أبو حاتم عن المطلب بن زياد: يكتب

حديثه ولا يحتج به. وقال عَبد الله بن الدورقي ، حَدَّثَنا يَحْيى بن مَعِين قال مطلب بن زياد كوفي ضعيف الحديث، وقال أبو داود: هو عندي صالح.وقال ابن سعد: ضعيف. مات سنة خمس وثمانين ومائة.

- **المطلب الرابع: أثر إتلاف الكتب في الرواية:**

رغم ما وجد من مبررات إيجابية لدى بعض العلماء الذين أتلفوا كتبهم ،إما بأنفسهم أو عن طريق غيرهم، فإن هذه الظاهرة لم تسلم من وجود آثار سلبية لها. وكان من أهمها ما يلي:

1-لا شك أن في إتلاف ذلك الكم من الكتب ضياع العديد من العلوم التي كان الناس وما زالوا أحوج إليها، إلا إن اجتهاد أصحاب تلك المؤلفات قد اقتادهم لإتلافها، ويبقى هذا اجتهادهم، ولهم أجرهم عند الله تعالى عليه،و يستثنى من هذا من أتلف بعض كتبه للتراجع عن آراء سابقة،أو لكونه قد بيض الكتاب.

2- إن قيام بعض المحدثين بإتلاف كتب مروياتهم خوفا من أن يتكلوا على الكتابة بدل الحفظ أدى بهم إلى نتيجة عكس ما أرادوا، وهي وقوعهم في الخطأ إذا ما رووا الحديث، وتضعيف العلماء لهم تبعا لذلك، ومن الأمثلة على ذلك: قال ابن سعد:" كان قد سمع سماعًا كثيرًا، وكتب ودفن كتبه، فلما كان بعد ذلك حدَّث وقد ذهبت كتبُهُ، فضعَّف الناسُ حديثَهُ لهذا المعن".(ابن سعد:**الطبقات الكبرى**، 1968م، 368/6).

- **المظاهر الإيجابية:**

1- توعية طلاب العلم الشرعي على ضرورة الاتصاف بالأمانة العلمية،والعناية بحديث النبي عليه الصلاة والسلام ،وهذا ما أثبته لنا العلماء بإقدام بعضهم على إتلاف كتب لهم للتخلص من آراء قديمة لهم.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، فقد خلصت الباحثة إلى النتائج الآتية:

1) دقة منهجية علماء الحديث في دراستهم لحديث النبي عليه الصلاة والسلام.
2) رصدُ علماء الحديث لكل ما يطرأ أو يعرف عن راوي حديث النبي عليه الصلاة والسلام، لما في ذلك من أثر في الحكم على ذلك الراوي.
3) من أبرز الحالات التي انتشرت بين علماء الحديث النبوي الشريف ورواته ظاهرة إتلاف الكتب. وبالنسبة لهذه الظاهرة فإنها لم تخل من بواعث نفسية ، رغم اشتراكه مع أسباب أخرى، وقد تسببت هذه الظاهرة التي انتشرت بين كثير من علماء الحديث وغيرهم، بضياع كثير من العلم، واختلال ضبط بعض الرواة بعد إتلافهم لكتبهم، بصريح قول أهل الجرح والتعديل، لتكون من بين الظواهر التي ألقت بأثرها على كل من الرواية و ضبط الرواة.

قائمة المصادر والمراجع

1) الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (1405): **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، نشر دار الكتاب العربي، ط4 ، بيروت.
2) البخاري، محمد بن إسماعيل، 1986م: **التاريخ الكبير**، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.
3) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن، 1952م: **الجرح والتعديل**، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد –الهند، نشر دار إحياء التراث العربي، ط1 ، بيروت.
4) ابن حبان، محمد بن حبان البستي، 1973م: **الثقات**، دار المعارف،ط1، القاهرة.
5) ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، 1984: **تهذيب التهذيب**،ط1،دار الفكر.
6) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، 1980م: **معجم الأدباء**،ط3، دار الفكر.
7) الخطيب، أحمد بن علي بن ثابت، 1974م: **تقيد العلم**، ، تحقيق يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية، ط 2، بيروت.
8) الخطيب، أحمد بن علي بن ثابت 1996:**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**،جمع احاديثه وعلق عليها: أبو عبد الرحمن عويضه، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت
9) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، د. ت: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
10)السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن2001: **فتح المغيث شرح ألفيه الحديث**، شرح ألفاظه وخرج أحاديثه: الشيخ صلاح عويضة، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز،ط1، مكة، السعودية.
11)ابن سعد،محمد أبو عبد الله، 1968م: **الطبقات الكبرى**،تحقيق : إحسان عباس،نشر، دار صادر، ط1، بيروت.
12)العجلي، أحمد بن عبد الله،1985م: **معرفة الثقات**، تحقيق:عبد العليم البستوي، مكتبة الدار، ط1، المدينة المنورة .
13)ابن عدي الجرجاني، عبد الله أبو أحمد،1997م:**الكامل في ضعفاء الرجال**،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
14)العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد، 1984:**الضعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت**.
15)ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، 1979: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت.
16)ابن قتيبة: عبدالله بن مسلم أبو محمد الدينوري، 1972م:**تأويل مختلف الحديث**، تحقيق : محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت.
17)القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، 2003م: **جامع بيان العلم وفضله**،تحقيق:أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، نشر دار الريان،دار ابن حزم،ط1، بيروت.
18)المعلمي اليماني، عبد الرحمن بن يحيى، د، ت: **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**،تحقيق:محمد ناصر الدين الألباني، طبع على نفقة الشيخ محمد نصيف وشركاه، مصر